مسألة

لفظي بالقرآن مخلوق

المشهورة بـ« اللَّفْظِيَّة »

وفيه

الردّ على دعوى

تضارُب أقوال العلماء في المسألة

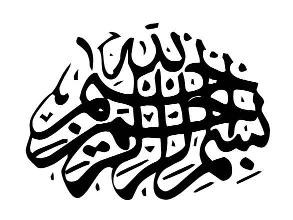
مستل من شروح فضيلة الشّيخ

أبي عبدالرَّحمن عبدالله بن عمر بن مرعي بن بريك العدني

-حفظه الله تعالى-

وفي هذا المبحث :

- عقيدة أهل السُنَّة والجماعة في « القُرآن » .
- عقيدة أهل السُنَّة والجماعة في مسألة « اللَّفْظ » .
- هل يُحدّثْ العوام بالتَّفصيل في مسألة « اللَّفْظ » ؟ (وفيه :جمع كلام الأئِمَّة في الباب ،ونقض دعوى التضارب والاختلاف) .



القرآن كلامُ اللّه غيرُ مخلوق

وقولهُ –رحمه اللّه- : « ويَعْتَقِدُون أنَّ القُرآن كلامُ اللّه وكِتابُه ووحيُه » كلامُهُ هذا دلّت عليه أدلّة الكتاب والسُنَّة .

فمن أدلَّة الكتاب : قول اللّه –عز وجلّ- ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾ [النساء: 164] ، وقال اللّه –عز وجلّ- ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: 6] ، فسَمَّى القُرآن كلاماً له سبحانه وتعالى .

فالقرآن كلامُ اللّه تكلَّمَ به سبحانه وتعالى ، وأنزلهُ على نبيِّه ﷺ .

فكونُه تكلَّمَ جبريل ، فهو ناقِلٌ لكلامِ اللّه –جلّ وعلا- ، فالكلامُ يُنسَبُ لمن قالهُ ابتداءً ، فكونُهُ نُقِلَ عن اللّه –عز وجل- عبرَ جبريل ، ونقلَهُ النبيّ ﷺ للنّاس من بعده ، لا يُخرجُ هذا أن يكون كلاماً للّه ، فالكلام يُرْجعُ لمن قالهُ ابتداءً ، ولهذا يقول أهل السُنَّة والجماعة : « منه بدأ وإليه يعود » أي : ابتدأ الكلام من اللّه فيُرجعُ إليه وصفاً و-كذلك- صفةً .

فاللّه قالهُ ابتداءً فيُرْجع إليه ، ويُنسَبُ الكلامُ لمن قاله ابتداءً .

فإذا تُلِيَ بالألسِنة ،أو حُفِظَ في الصُّدور ،أو كُتِبَ في المصاحف لا يُخرج ذلك كلُّه أن يكون هو كلام اللّه الذي تكلَّم اللّه به ابتداءً ،مثلما تقول :حديث النبي ﷺ:« إنَّما الأعمال بالنيَّات » فإذا قُلْتَ أنت :« إنَّما الأعمال بالنيَّات » هذا حديثُ من ؟ حديث النبي ﷺ ،فكونُك نقلتَ هذا الحديث ،ونقلهُ عنك أناس ،ويتناقلُه النّاس جيلٌ بعد جيل لا يُخرج تناقُلْ النّاس هذا الكلام أن يكون كلاماً للنبي ﷺ ،فيُنسَبُ الكلام لمن قالهُ ابتداءً ،فهو كلام النبي ﷺ ،وهكذا –كذلك- كلام اللّه .

فمن الخطأ أن يُقال :أنَّ المنقول الذي قالهُ جبريل ،أو نقلهُ النبي ﷺ هو حِكاية عن كلام اللّه ،أو عبارة عن كلام اللّه ،هذا تحريف لِما أخبرنا اللّه –عز وجلّ- به في كتابه ،وأخبرنا به نبيُّنا ﷺ في سُنَّتِه ،اللّه سمَّاهُ كلاماً له –جلّ وعلا- ثمَّ يأتي إنسان فيقول :« إنَّما هو حكايَة ،أو عبارة عن كلام اللّه » ،فيَزعمون أنَّ الموجود هو معنى اللَّفْظ الذي تكلَّم اللّه به ،وهذا كذب على اللّه ،وعلى كتابه ،وعلى رسولِه ﷺ ،فننتَبه لهذا .

فالقُرآن كلامُ اللّه بنصِّ القرآن ونصّ السُنَّة ،أمّا القرآن ما سمعنا ،وسيأتي من السُنّة ما يدُلّ على ذلك في حديث جابر الآتي إن شاء اللّه .

وقولُهُ :« وكتابُه » لأنَّ اللّه –عز وجلّ- سمَّى القرآن « كتابهُ » سبحانه وتعالى في آيات .

و« وحيُهُ »كذلك سمّاه اللّه –عز وجلّ- « وحيَهُ » .

فما أنزل على النبيّ ﷺ هو كتاب اللّه، وقال النبي -عليه الصّلاة والسّلام- كما في حديث ابن عبّاس وغيره: «تركتُ فيكم ما إن تمسّكتُم به لن تَضِلُّوا بعدي أبدا كتابُ اللّه» سمّى القرآن كتاباً للّه -عز وجلّ- «وسُنّتي».

فالقرآن «كتاب اللّه»، وهكذا -كذلك- «ووحي من اللّه» أوحى اللّه -عز وجلّ- به جبريل إلى نبيِّه -عليه الصّلاة والسّلام- كما أخبرنا اللّه بذلك في آيات عِدّة.

قال: «وتنزيلُهُ غيرُ مخلوق» يعني: نزل به جبريل -كما في الآية التي ستأتي- ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [الشعراء: 192-195]، هذا وصف القرآن، فالقرآن نزّلهُ اللّه، ومن الذي نزل به؟ ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣﴾ [الشعراء: 193] أي: جبريل -عليه الصّلاة والسّلام-، على من؟ على قلبِ نبيِّنا ﷺ، ونزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [الشعراء: 195]، هذا هو وصف القرآن.

فاللّه -عز وجلّ- يقول ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ [القدر: 1] أي: القرآن.

وقال ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ [الدخان: 3] أي: القرآن.

وقال سبحانه ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: 185].

فالقرآن أنزله اللّه سبحانه وتعالى من عندِه ؛فاللّه تكلَّم به ابتداءً ،وأنزلهُ على نبيِّهِ محمَّد ﷺ عبرَ رسولهِ ،ومن اصطفى من ملائِكتهِ وهو جبريل –عليه الصَّلاة والسَّلام- .

وقولهُ :« غيرُ مخلوق » دلّت أدلَّة الكتاب والسُنَّة –وسيأتي معنا إن شاء اللّه- على أنَّ القرآن كلامُ اللّه ،وكتابه ووحيُه وتنزيلُه غير مخلوق .

واستدلّ العلماء بأنَّه غير مخلوق بأدلَّة كثيرة من الكتاب والسُنَّة .

ومن هذه الأدلَّة من الكتاب :قول اللّه –عز وجلّ- ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴾ [الأعراف: 54] **ففرَّقَ بين الخلق والأمر ؛والأمر منه :**

- **الأمر الكوني .**
- **والشَّرْعي .**

ومن الشَّرعي القُرآن ،فعُلِمَ أنَّ الخلق غير الأمر ،فالقرآن وهو « الأمر » ليس بمخلوق .

وقد استدلَّ الإمام أحمد –رحمه اللّه- بهذه الآية على أنَّ القرآن ليسَ بمخلوق .

وهكذا من السُنَّة أدلَّة كثيرة ،ومنها قول النبي ﷺ في الدّعاء :« أعوذ بكلمات اللّه التّامات » فتعوَّذَ النبيّ ﷺ وتعليمه أمَّته التعوُّذْ بكلمات اللّه ،هذا يدل على أنَّ كلمات اللّه –عز وجلّ- ليسَت بمخلوقة ،لأنَّه لا يُتعوَّذ بمخلوق .

وفي المناظرة التي وقعَت للإمام أحمد –رحمه اللّه- استدلَّ –كذلك- بهذا الحديث على أنَّ القُرآن ليس بمخلوق .

قال –رحمه اللّه- : « **ومن قال بخلقِهِ واعتقَدهُ فهو كافِرٌ عندهم** » لماذا كافر ؟ لأنَّه كذَّبَ نصّ القُرآن والسُنَّة ، ومن زعمَ أنَّ كلام اللّه مخلوق فقد وقعَ في الكُفْر من جهتَيْن :

1- الجهة الأولى : تكذيبُه لكلام اللّه ، وكلام رسولِه ﷺ .
2- والجهة الثانية : أنَّه جعل صِفَة الخالِق مخلوقة ؛ ومن جعل صفة الخالق مخلوقة فقد وقعَ في الكُفْر والعياذ باللّه .

وقولهُ –رحمه اللّه- : « **والقُرآن الذي هو كلام اللّه ووحيُه هو الذي نزلَ به جبريل على الرَّسول ﷺ قرآناً عربياً لقوم يعلمون ، بشيراً ونذيراً ...** » إلخ يريد أنَّ هذا القُرآن هو هذا الذي أُنزلَ على النبي –عليه الصَّلاة والسَّلام- ، وهو الذي أوَّله « سورة الفاتحة » وآخرُه « سورة النّاس » ، فكلُّ هذا هو القُرآن وهو كتاب اللّه ، وهو كلام اللّه ، وهو وحيُ اللّه ، وهو –كذلك- تنزيل اللّه الذي أخبرَ اللّه –عز وجلّ- به بقولِه ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ ﴾ [الشعراء: 192-195] .

وقولهُ –رحمه اللّه- : « **وهو الذي بلَّغهُ الرَّسُول ﷺ أمَّتَه كما أُمِرَ به في قولِه تعالى ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ [المائدة: 67]** » يعني : أنَّ اللّه –عز وجلّ- أنزلَ عليه القُرآن كما مرَّ معنا في الآيات الثَّلاث –

فيما سبق قريباً- فأُنزلَ عليه القُرآن وأُمِرَ بتبليغ هذا القُرآن الذي أُنزلَ إليه –عليه الصَّلاة والسَّلام- .

فإذن ؛القرآن الذي أُنزلَ وأوَّلُهُ « سورة الفاتحة » وآخرُه « سورة النَّاس » كلُّهُ منَزَّل من عند اللّه ،وكلُّهُ كلامُ اللّه ليس فيه شيء هو كلام جبريل ،ولا كلام النبي –عليه الصَّلاة والسَّلام- ،وليس فيه شيء هو حكاية أو عبارة عن كلام اللّه ،وليس هو من كلام اللّه ،بل كلّ ما في ذلك الكتاب العظيم هو كلامُ اللّه سبحانه وتعالى وحده ،ليسَ فيه شيء من كلام خَلْقِه ،ولا –كذلك- من أحرُفِ أحدٍ من خلقِه .

وقولُهُ :« فكان الذي بلَّغَهُم بأمر اللّه تعالى كلامُهُ –عز وجلّ- » يعني ؛فهذا الذي بُلِّغَ النَّاس به وهو هذا الذي نتلوه بالألسُن ،ونحفَظُهُ في الصُّدور ،ونكتبُه في المصاحِف ،كلُّه كلامُ اللّه –عز وجلّ- .

ثمّ استدلَّ على ذلك بقولِه –عليه الصَّلاة والسَّلام- :« أتَمنَعُونِي أن أُبَلِّغَ كلامَ ربِّي ؟ » وهو حديث جابر بن عبداللّه الذي جاء عند بعض أصحاب [السُنَن] عند أبي داود والتّرمذي وابن ماجة والدّارمي وغيرهم ،والبخاري في [خلق أفعال العِباد] ،وجماعة بأسانيد صحيحة .

والشَّاهد منه ؛قولُهُ –عليه الصَّلاة والسَّلام- :« أتَمْنَعُونِي أن أُبَلِّغَ كلامَ رَبِّي ؟ » وفي رواية :« إنَّ قومي مَنَعُوني أن أُبَلِّغَ كلامَ رَبِّي فهل من رجلٍ يَحْمِلُنِي لأُبَلِّغَ كلامَ ربِّي » فسَمَّى القرآن « كلاماً للّه –عز وجلّ- » ،فهذا هو الشَّاهد .

وقولهُ :« وهو الذي تَحفَظُهُ الصُّدور ،وتتلوهُ الألسِنَة ،ويُكتَبُ في المصاحِفْ كيف ما تصرفَ بقراءة قارئ ،ولفظِ لافِظْ ،وحِفْظِ حافِظْ ،وحيثُ تُلِي ،وفي أيِّ موضِعْ قُرئْ وكُتِبْ ...» إلخ ،يريد –رحمه اللّه- :كيف ما تُصُرِّفَ بهذا القرآن فهو كلُّهُ كلام اللّه ،سواءً كُتِبَ في المصاحِفْ ،أو تُلِيَ وقُرئَ بالألسُن ،أو حُفِظَ في الصُّدور ،أو كُتِبَ على الألواح ،أيُّما كيفيَّة تُصُرِّفَ بهِ فأصلُهُ كلامُ اللّه سبحانه وتعالى ،فكلُّهُ –كما قال- كلام اللّه –عز وجلّ- غير مخلوق (أي :هذا القرآن) .

وقولهُ :« فمن زعمَ أنَّهُ مخلوق فهو كافِرْ باللّه العظيم » تقدَّمَ معنا لماذا هو كافر ؟ لأنَّهُ –كما تقدَّم- كذَّبَ بالقرآن والسُنَّة ،ولأنَّهُ جعلَ صِفَة الخالِق مخلوقة ،فلهذيْن السَبَبيْن يصِيرُ من قال أنَّ القرآن مخلوق كافر باللّه العظيم ...

مسألة « اللَّفْظِيَّة »

وسيأتي معنا إن شاء اللّه التَّنبيه والتَّفريق بين فِعل الفاعِل وصِفَة المخلوق وما كان من كلام اللّه المنقول الذي يَنقلُهُ ذلكم المخلوق ،فنحنُ نُفَرِّقُ بين « اللَّفْظ » و« المَلْفُوظ » ،وبين « القراءة » و« المقروء » ،وبين « الكتابة » و« المكتوب » ،كما سيأتي معنا إن شاء اللّه .

- فـ« المقروء » و« المحفوظ » و« المتلو » و« المكتوب » من القرآن كلُّهُ كلام اللّه .
- و« التِّلاوَة » و« الحفْظ » و« القراءة » وكلّ ما كان من فِعل المخلوق فهو مخلوق .

فصفة المخلوق مخلوقة ،وصِفَة الخالِق ليسَت بمخلوقة –كما سيأتي معنا إن شاء اللّه تعالى في موضِعِه- .

٥ - [قال الشيخ أبو عثمان:] سمعت [شيخنا] الحاكم أبا عبد الله الحافظ [رحمه الله] يقول: سمعت [الإمام] أبا الوليد حسان بن محمد يقول: سمعت الإمام أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، فمن قال: إن القرآن غير مخلوق فهو كافر بالله العظيم ولا تقبل شهادته، ولا يعاد إن مرض، ولا يصلى عليه إن مات، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ويستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه .

وهذا الأثر صحيح بهذا الإسناد ؛كلُّهُ أئِمَّة يَرْوِي بعضهم عن بعض .

وقد ذكرهُ الحافِظ الذَّهبي –رحمه اللّه- في [التَّذكرة] ،وهكذا – كذلك- هو من كلام ابن خُزَيْمَة مذكورٌ في [كتاب التَّوحيد] ،ومعناه نُقِلَ عن عددٍ عن الأئِمَّة .

وفي هذا دليل :أنَّ القائِل بـ« أنَّ القُرآن مخلوق » عند علماء وأئِمَّة أهل الحديث والأثر « أئِمَّة الإسلام » والعلماء الكبار الأعلام يُعدُ كافراً ،وسببُ كُفره أنَّهُ كذَّبَ بالقرآن ،وأنَّهُ –ثانياً- جعلَ صِفَة الخالِقْ مخلوقة ،وكلا الأمريْن كُفْر .

فمن كذَّبَ بالقرآن ،وجعل ما للخالق مثل ما للمخلوق فقد كفر باللّه ،ولهذا قال :« لا تُقْبَل شهادتُهُ » لأنَّهُ ليس بمسلم « ولا يُعادْ إن مَرِضْ » لأنَّهُ ليس بمسلم « ولا يُصَلَّى عليه إن مات » لأنَّهُ ليس بمسلم « ولا يُدفَنْ في مقابر المسلمين » لأنَّهُ ليسَ بمسلم « يُسْتتاب فإن تاب » لماذا يُسْتتاب ؟ لأنَّهُ ربَّما عنده شُبْهَة ؛بعض النّاس يُلَبَّسْ من قِبَلْ بعض أهل البدع والأهواء ،أو يكون عندهُ جهْل وتقليد ،فيُبَيَّنْ له :« هذا الذي تقولُهُ خطير ! هذا كُفْر باللّه ،انظُر إلى الأدلَّة من الكتاب والسُنَّة ،واسمع إلى كلام أهل العِلم » فإن استجاب ورجع وتاب فالحمد للّه قُبلَتْ توبتُه ،وإن لم يَتُبْ ،وكان هناك ولي أمر مُسلِم « ضُرِبَتْ عُنُقُه » كما ضُرِبَتْ عُنُقَ الذي قال عنه أحد الأئِمَّة [1] :« ضَحُّوا تقبَّلَ اللّه ضحاياكم فإنِّي مُضَحٍّ بالجهم بن صَفْوان [2] » قتلَهُ خالد القَسْري ،لأنَّهُ زعمَ أنَّ اللّه لم يُكلِّمْ موسى تكليماً .

1- وهو خالدْ بن عبداللّه القَسْري البجَلِي (والي من ولاة بني أُمَيَّة) .
2- بل هو الجَعْد بن دِرْهَم .وقد ذكرَ القِصَّة في بعض دروسِه ،بل وحكم على إسنادها !

٥ـ [قال الشيخ أبو عثمان:] فأما اللفظ بالقرآن فإن الشيخ أبا بكر الإسماعيلي الجرجاني [رحمه الله] ذكر في رسالته التي صنفها لأهل جيلان، [قال فيها]: إن من زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فقد قال بخلق القرآن.

قولُه: « فأمّا اللّفْظُ بالقرآن » يعني: مسألة قالها بعض أهل الأهواء لإدخال بدعَتِهم بحيلَة؛ لمّا قال علماء الإسلام: « من قال أنّ القُرآن مخلوق فهو كافِرْ » وكان لأهل السُنّة وأئِمَّة السُنَّة الشَّأن انخنَسَ أهل الباطل وأهل البدع، فجاءَتْ طائِفَة تبُثّ البدعة بطريقَة خَفِيَّة، قالوا: « لَفْظِي بالقرآن مخلوق »، لا يريدون الفِعْل، ولكن يريدون الجمع بين القُرآن وبين فِعل المخلوق، فلهذا شدَّ عليهم في أوَّل الأمر بعض علماء وأئِمَّة السُنَّة الأعلام، فقالوا: « من قال: لفظِي بالقرآن مخلوق، فهو مبتدع » وبعضهم قال: « كافر »، لماذا ؟ لأنَّ الذي قال هذا هو نفسُهُ الذي كان يقول: « القرآن مخلوق »، فلمّا سكتَ عن قول: « القرآن مخلوق » تحوَّلَ إلى قول: « لَفْظِي بالقرآن مخلوق »، ثمَّ لمّا وجدَ بعض العلماء والأئِمَّة أنَّ هذا اللَّفْظ مُحتَمِلْ، فصارَ بعض النّاس يُلَبِّسْ فيه ويُشَوِّشْ على من ليسَ له معرفَة ودِرايَة، فيقولون لهم: « أليسَ فِعلُنا مخلوق ؟ » فيقولون: « بلى » فيقولون: « إذن: لَفْظي بالقرآن مخلوق »، فلمّا وقعَتْ الشُّبْهَة فصَّلَ من فصَّلَ من العلماء والأئِمَّة، كالإمام البخاري في كتابه [خلْقْ أفعال العباد]؛ ألَّفَ كتابَهُ [خلْق أفعال العباد] لأنَّ النّاس صاروا في هذه المسألة طرفان ووسط:

- **طرف لا يريد التَّفصيل؛ يقول: « كلّ من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو مبتدع، وضالّ، وكافِرْ » .**

- وآخرون ،قالوا –كذلك- « لفظي بالقرآن مخلوق حقّ وصحيح ،وليسَ فيه شيء » .

وهذا خطأ ،وهذا خطأ !

والصَّحيح التَّفصيل والتَّفريق ،فألَّفَ الإمام البخاري –رحمه اللّه- وجماعة من أهل العِلْم كتُباً ،منهم من ألَّفَ مُصَنَّفاً خاصّاً ،كالإمام البخاري ،ألَّفَ كتابه [خلق أفعال العباد] لماذا ؟ لأجل أن يُبيِّن أنَّ هناك فرق بين ما هو صِفة للّه فليسَ بمخلوق ،وما كان من فِعل المخلوق فهو مخلوق .

فإذن ،لا يَصِحّ أن تقول ،« لَفْظِي بالقرآن مخلوق » لكن قُلْ ،« الملفوظ كلام اللّه » أنت تتكلَّم الآن على القرآن ،و« اللَّفْظُ فِعلُكَ وما تفعلُه » هذا مخلوق (فِعل العَبْد) ،و« الكتابَة » مخلوقة ،و« المكتوب من القرآن » ليس بمخلوق ،وهكذا –كما مرَّ معنا- :

- « المقروء » و« المكتوب » و« المحفوظ » كلٌّ ذلك من القرآن ليسَ بمخلوق .

- و« القراءة » ،و« الكتابة » ،و« الحفظ » فِعلُ العِباد مخلوق .

والدّليل : قولُ اللّه –عز وجلّ- ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات: 96]

يعني ،خلقَكم وأعمالكم ،فكلّ أفعال العباد مخلوقة للّه سبحانه وتعالى ،حتَّى ولو كان « قِراءة القُرآن » ! « القراءة » التي هي فِعل العَبْد مخلوقة للّه ،لأنَّ اللّه خلقَكَ وخلق أفعالَك ،وأمَّا « المقروء » الذي تقرأه ،و« المتلو » الذي تتلوه من القرآن فهو ليس بمخلوق لأنَّهُ كلام اللّه سبحانه وتعالى .

فهذا هو الصَّحيح في « مسألة اللَّفْظ » .

وقولُهُ –رحمه اللّه- : « أنَّ بعض الأئِمَّة من أهل جيلان أَلَّفَ كتاباً وقال : من زعمَ أنَّ لفْظُهُ مخلوق يريد به القرآن فقد قال بخلق القرآن » وانظُرْ إلى قولِه : « يريد به القرآن » يعني : إذا لم يُرِدْ به القرآن ففيه تَّفصيل –الذي سمعناه قبل قليل- : نُفَرِّقْ بين « القراءة » و« المقروء » :

- القراءة فِعل العبد .
- والمقروء كلام اللّه .

نُفَرِّقْ بين « الكتابة » و« المكتوب » ، نُفَرِّقْ بين « التِّلاوَة » و« المتلُو » .

أيُّهما كلام اللّه « التِّلاوَة » أو « المتلو » ؟

- المتلو كلام اللّه .
- والتِّلاوة فِعل الإنسان ، مخلوق .

وذكر ابن مهدي الطبري في كتابه «الاعتقاد» الذي صنفه لأهل هذه البلاد[1]: أن مذهب أهل السنة والجماعة القول بأن القرآن كلام الله سبحانه ووحيه وتنزيله وأمره، ونهيه غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر بالله العظيم، وأن القرآن في صدورنا محفوظ، وبألسنتنا مقروء، وفي مصاحفنا مكتوب، وهو الكلام الذي تكلم الله عز وجل به، ومن قال: إن القرآن بلفظي مخلوق، أو لفظي به مخلوق فهو جاهل ضال كافر بالله العظيم.[2]

(1)- يعني : جيلان .

(2)- وكما قُلْنا :هذا هو الآن ينقُل كلام ابن مَهْدِي الطَّبَري .

وهؤلاء الأئِمَّة قالوا هذه العبارات رداً على من لبَّسَ البدعة بهذه الشُّبْهَة .

والصَّحيح :التَّفصيل –كما مرَّ معنا في القول الذي قبله- :من زعمَ « أنَّ لفْظَهُ بالقرآن مخلوق » يريدُ بهِ القُرآن .

فإن لم يُرد به القُرآن إذن :لا بدّ من التَّفصيل :فنُفَصِّلْ بين « اللَّفْظ » و« الملفوظ » ،و« القراءَة » و« المقروء » ،و« الكتابة » و« المكتوب » ،و« التِّلاوة » و« المتلو » ،وهكذا ! ننتبه لهذا .

هل يُحدَّث العوام بهذا التَّفصيل في مسألة « اللَّفْظ » ؟

وفيه :الجمع بين أقوال الأئِمَّة في المسألة

٦ـ [قال الشيخ:] أخبرنا أبو عبد الله الحافظ [رحمه الله]، قال: قرأت بخط أبي عمرو المُسْتَمْلِيْ: سمعت أبا عثمان سعيد بن إشكاب [الساش] يقول: سألت إسحاق بن إبراهيم[1] [بنيسابور] عن اللفظ بالقرآن؟ فقال: لا ينبغي أن يناظر في هذا، القرآن كلام الله غير مخلوق[2] .

(1)- ابن راهويه .

(2)- ويريد :لا ينبغي أن يُناظَرْ في هذا لأجل لا يكون شُبْهَة لأهل الأهواء ،ولأجل لا يَلتَبِسْ على من لا يَفْهمُه ،لأنَّ الأمر فيه تفصيل الكثير من العامَّة لا يَفْهمون في هذا التَّفصيل ،فلذلك بعض العلماء أغلقُوا هذا الباب ،قالوا :« يكفِي أن تقول :القُرآن كلامُ اللّه غير مخلوق » فإن جاءَ سائِل فسأل :« ماذا نقول عن لفظي بالقرآن مخلوق ؟ » يقول :« اسكُتْ عن هذا ،لا تتكلَّم في هذا » لماذا ؟ لأنَّ العامِّي الذي لا يُحسِن العلم قد يَفْهَم وقتَ السَّماع ؛يعني :هو جالس معك الآن يَفْهَم التَّفصيل ،اسألهُ في اليوم التَّالي ! هل سيُجيب الجواب الصَّحيح ؟ سيُخطِئ .

ولهذا كرَّرْتُ السُّؤال ؛لأجل أن لا ينسى الطّالب ومن يَسْمع في اليوم التَّالي :« ما هي عقيدة أهل السُنَّة والجماعة في مسألة لفظي بالقرآن مخلوق ؟ » ،فلهذا بعض العلماء سَدَّ هذا الباب ،يقول :« لا تتكلَّم في

اللَّفْظ ،يكفي أن تقول :القرآن كلام الله غير مخلوق » ،فإن سأل السائِل :« ما تقول في لفظي بالقرآن ؟ » يقول :« اسكُتْ عن هذا ،لا تتكلَّم في هذا » هل معناه أنه ليس عندهُ جواب ؟ عندهُ جواب ،لكن يَخْشَى أنَّ السَّائِل يأخذ الجواب الصَّحيح ،وفي اليوم التّالي يَنسى ويَختَلِطْ عليه ،فيَصِير مسألة العقيدة فيها شَكّ ،لا يدري « ماذا قال لي الشّيخ أمس ؟! » إذا لقي بعض أهل الأهواء وقال له القول الباطل ،يقول :« لعلَّ هذا الذي قال لي الشّيخ » وهو ليسَ هذا ! إمَّا هو شيء آخر ،لكن هل العامي يُمَيِّز بين الصَّواب والخطأ ؟ ما يُمَيِّزْ ،فلذلك قد لا يَحْفَظْ ولا يُتقِنْ هذا الباب ،فأغلقَ العلماء هذا الباب .

وفي هذا فائِدة :أنَّ المسائِل الدَّقيقَة من العلم لا تُطرَقْ لكلِّ النّاس ؛فمن مسائِل العلم ما يكون لخاصَّة النّاس ،كما قال علي –رضي الله عنه وأرضاه :« حَدِّثُوا النّاس بما يَعرفُون أتُحِبُّون أن يُكَذَّبَ الله ورسوله ؟ » رواه البخاري ،وفي [مسلم] من حديث ابن مسعود :« ما أنت بمُحَدِّثٍ قوماً حديثاً لا تبلُغُهُ عُقُولُهم إلاَّ كان لبعضهم فِتْنَة » ،فلكلِّ مقامٍ مقال .

وبهذا نفهم ما رُوِي ؛ليسَ هو من باب التَّعارُضْ ،ولا هو من باب الاختِلاف ،لا اختلاف بين الأئِمَّة في هذه المسألة ،هذه مسألة عَقَديَّة ليسَ فيها اختلاف ،لكن بهذا الجمع نجمَعْ .

- من قال من العلماء كإسْحاقْ بن راهَويْه يقول :« اسْكُتْ عن هذا ،لا تتكلَّم في اللَّفْظ » ،ماذا يُريد ؟ يريد درء المَفْسَدَة بأن يَخوض الإنسان في شيء لا يَفْهمُه فيَلْتَبسْ عليه الأمر .
- ومن قال من الأئِمَّة :« من قال لفظي بالقرآن مخلوق ،فهو كافر

» فهو لا يخالف كذلك ! إنَّما يريد أن يَرُدّ على من يُلَبِّسْ على النّاس بهذا اللَّفْظ المجمل الذي يَحتاج إلى تفصيل .

- ومن فصَّلَ فهذا هو الصَّواب ،وقولهُ لا يُخالِف الأوَّل ،ولا يُخالِفْ الثَّاني .

[شرح كتاب **عقيدة السَّلف وأصحاب الحديث** لأبي عثمان الصَّابوني (د04-05)]